الطريقة التجريبية:

يعتبر التجريب موقفا مصطنعا يُهيئ لإثبات حقائق أو بطلانها أو نفيها من خالا البحث والتقصي الدقيق ملاحظةً ومشاهدةً ومعايشةً، وفي العلوم الاجتماعية والإنسانية تكون الحقائق كامنة وتظهر في التصرفات والسلوك والأفعال والأعمال التي تخضع للمشاهدة والملاحظة، ولكن ليس من السهل إظهار الكامن للمشاهدة، والملاحظة، وهنا تكمن الصعوبة العلمية التي تواجه العلوم غير الطبيعية، فالذي يود البحث مشاهدته وملاحظته يقع تحت سيطرة المبحوث وظروفه الخاصة التي قد لا يسمح بإظهارها للمشاهدة والملاحظة أو لا يسمح إلا بإظهار جزءا بسيطا منها، وقد يُظهر عكس حقيقة الموقف أو الحالة أو الظاهرة التي هو عليها وذلك لاعتبارات تستوقفه أمام الآخرين وفي هذه الحالة تكون المعلومات المتحصل عليها عن طريق أداة الملاحظة والمشاهدة غير صحيحة وبالتالي غير علمية.

وحتى التجريب عن طريق المجموعة الواحدة أو المجموعتين أو أكثر إذا اعتمدنا فيه على المشاهدة والملاحظة قد تكون أحكامنا غير صائبة مائة في المائة لأن المجموعة أو المجموعات التجريبية والضابطة وإدخال المتغيرات عليها أو على بعضها يجعل المُجرَّب عليهم تحت تأثير مباشر من الباحث، وهنا قد يتصنّع بعض المبحوثين أو حتى جميع المبحوثين إظهار التزام أو انضباط مبالغ فيه أمام الباحث وهذه ليست بحقيقة مما يجعل الباحث إن احتكم فقط بما يشاهده يقع في أخطاء تكون ضارة بالبحث وذلك بأسباب السلوك المصطنع من قبل المبحوثين أو بعضا منهم.

ولذا فإن تعمم نتائج البحوث التي تتأثر بما سبق ذكره على مجموعات أخرى لم يتم اختيارها من ضمن المجموعات التجريبية ولا الضابطة قد لا يفيد في معالجة المشاكل الاجتماعية والنفسية التي تتطلب مراعاة كل خصوصية وما يتعلق بها من ظروف موضوعية.

وبما أن دراسة الإنسان من حيث مشاعره وأمانيه، واستعداداته وحبه، وأمله، وكرهه مسألة يصعب التحكم فيها والتأكد منها لذلك من الصعب إخضاع كل ذلك للتجريب المباشر. ولهذا لا يمكن إخضاع المشاعر للتجريب والمشاهدة، مما يجعل الباحثة يلتجئون إلى استخدام الأساليب الإسقاطية لفهم النفس وما تكنّه من معلومات تفيد دراسة الحالة وتحليل المعلومات المتعلقة بها وكذلك تفيد تشخيصها من خلال معرفة العلل ومكامنها والأسباب وما يترتب عليها لأجل التوصل إلى النتائج وبلوغ مرحلة العلاج المؤسس على العلم والمهارة.

ولأن الإنسان عاقل ومجادل إذاً بطبيعة الحال هو قادر على أن يخفي ما في نفسه ولا يعلمه لأحد، ولهذا يكون الجدل والنقاش والمقابلة من أفضل الوسائل في الحصول على المعومات من البشر مما يجعل للمقابلات العلمية أهمية كبرى في مجالات العلوم الاجتماعية والنفسية، ولذا فإن التجربة الاجتماعية تحتاج إلى ظروف زمنية ومكانية تختلف عن ظروف التجارب المعملية وتجارب المختبرات التي تُجرى على الحيوانات والنباتات والأسماك والطيور وغيرها كثير.

تجارب المعامل والمختبرات قد تعطي نتائج فورية، أما تجارب البشر فتحتاج إلى زمن أطول كي تعطي حقائق وأدلة يحتكم بها أو يتحكم إليها أو حتى لمجرد أن يتم التعرف عليها، كلنا نريد الخبز ساخنا، ولكن هل يمكن الحصول عليه بدون فترة تخمير؟ فما بالك إذا في التجارب الاجتماعية التي تحتاج إلى زمن أطول من زمن التخمير لتكون جاهزة للتعرف عليها استحسانا واستئناسا أو استغرابا وتجنبا، ولهذا تُعد الحياة في السجن تجربة للسجين، ومن أراد من الباحث أن يعرف تلك التجربة فعليه أن يتوجه إلى السجن ليتعرف على حياة السجناء من خلال التجربة التي لم تُصطنع اصطناعا كما هو حال التجارب في المعامل والمختبرات.

وكذلك العزوبية تجربة تتطلب البحث من قبل من يرغب أن يتعرف على ما فيها من إيجابيات وسلبيات وقضايا وهمومها.

والزواج تجربة يمكن التعرف على ما فيه من ميز أثناء التراضي والتوادد، وما فيه من عيوب أثناء الغضب واستعراض المزايدات بين الزوج والزوجة.

وهكذا الطلاق مع أنه حل إلا انه تجربة مُرَّة، وأسبابه اختلاف وعدم تقدير أو فقدان ثقة، والأضرار المترتبة عليه كثيرة قد تلحق الأبناء وقد تمتد لعداوات بين الأسر.

الكفر تجربة، والإسلام تجربة، والهروب من المدرسة تجربة، والبطالة تجربة، والعمل العام تجربة، والعمل الخاص تجربة تختلف عن تجربة العمل العام، والاستعمار تجربة، والجهاد تجربة وعبادة بالنسبة للمسلمين إذا توفرت شروطه ومعطياته. وكذلك الحكم تجربة والنظم الاقتصادية والسياسية تجارب عندما تنتظم المجتمعات وفق فلسفتها، والحرية تجربة، والعبودية تجربة، وفترة التعلم والتعليم تجربة، والالتزام تجربة، وهكذا الحياة الاجتماعية والإنسانية مليئة بالتجارب التي تستوجب البحث والبحاث غافلون عنها.

وهكذا تتعدد التجارب الاجتماعية وتتجدد وتتنوع، وهي أفضل ميدان ومادة تجريبية لمن أراد أن يُقدِّم جديدا أو أراد أن يتقدَّم به في ميادين العلوم الاجتماعية والإنسانية، إنها التجارب العظيمة التي تُثري كل التخصصات العلمية وتمد المتعلمين بالخبرة والعبرة.

إن احترامنا للعلوم الطبيعة والاعتراف برسائلها العلمية يزداد وذلك لالتزامها بإجراء التجارب في ميادينها، وهي تهدف إلى بلوغ كل ما من شأنه أن يُطوِّر الإنسان ويرفع من شأنه اقتصاديا وعلميا ومهنيا وحرفيا.

أما العلوم الاجتماعية فهي لا زالت متأخرة إن لم تلتفت إلى ميادينها المليئة بالتجارب لتخصُّها بالبحث حتى تكون لها هوية كما هو حال العلوم الطبية التي أصبحت لها هوية بها تتميز وبها تعتز.

ومع أن لكل علم ميدانه الخاص به وطريقته الخاصة به ومنهجه الخاص به إلا أن الغاية من البحوث العلمية هي الإنسان في كل العلوم والميادين البحثية والجامعات

ومراكز البحث العلمي، أي كل التجارب والبحوث التي تُجرى تكون نتائجه من أجل الإنسان، فعندما تجري التجربة على أرنب أو حمامة أو شجرة أو طائر أو سمكة أو نبات أو بالمطلق كل ما يخضع للتجريب لم يكن هو المستهدف لذاتها مع إنه المُجرَّب عليه (الضحية)، فالإنسان قيمة رفيعة لا يُجرب عليه بما يُعرِّضه للخطر، بل يخضع للتجربة التي فيها يجد أهميته واحترامه وتقديره ومكانته ولهذا فاحترام العلوم الطبيعية للإنسان وتقديسها له لم تخضعه للتجربة ولم تعرضه للخطر.

ولهذا إذا أردنا للعلوم الاجتماعية والإنسانية أن تتقدم فعلينا بالبحث والدراسة في التجارب الحياتية للمجتمعات والشعوب وان تُسخَّر العلوم لخدمة الإنسان لا للتجريب عليه.

ولذا فمهما يحاول البعض أن يفصل العلوم الطبيعية عن الاجتماعية لا يتحقق له ذلك، وما الفصل الظاهري بينهما إلا لتبيان المسار المنهجي لكل منهما في ميادينه التي فيها يتميَّز. فعلى سبيل المثال: مجتمع كان عدد سكانه قبل عشر سنوات مليوني نسمة، ثم أصبح الآن ستَّ ملايين نسمة نتيجة الزيادة العادية ونتيجة الهجرة إليه من الخارج، وأن المستوى الاقتصادي للفرد وللأسرة كان تحت المقبول نتيجة اعتماده على المجهود العضلي الذي يبذله الفرد في الزراعة، والصيد، والصناعات التقليدية، ثم خلال هذه الفترة (الأربعين سنة) انتقل البلد إلى الإنتاج الصناعي الحديث، مع اكتشاف النفط مورد اقتصادي كبير، وانتشار المدارس والجامعات ومراكز البحث العلمي وانفتاحه على العالم وما لديه من علوم وتقنيات متقدمة، هذه حالة مجتمع من المجتمعات إن أخضعناه للبحث باستخدام وسيلتي الملاحة والمشاهدة، نلاحظ الآتي:

. زيادة عدد سكان.

. ارتفاع مستوى الدخل.

. ارتفاع المستوى الثقافي.

. ارتفاع عدد المتعلمين ونسبتهم في المجتمع الذي كان يعاني من ويلات الجهل.

. التغيُّر السياسي.

. التغيُّر الاجتماعي من البساطة إلى التعقيد.

. ارتفاع المستوى الصحي وتحسُّن أحوال المواطنين الصحية.

إن مثل هذه الحالة تحتاج إلى بحوث ودراسات علمية لمعرفة لماذا لم تستمر البساطة مع التقدم والتطور الذي حدث على حياة المجتمع وظروفه؟

وهكذا ينبغي أن تتوجه البحوث إلى البحث في تجارب الشعوب من خلال ميادين العلوم الاجتماعية والإنسانية لمعرفة أثر المتغيرات السياسية والاقتصادية والعلمية والصحية والثقافية وغيرها من المجالات الأخرى التي لا ينبغي الإغفال عنها.

ولذا فعلى العلوم الاجتماعية أن لا تغفل عن الآتي:

أ – استيعاب العلوم الطبيعية وما وصلت إليه من حيث تأثيرها والنتائج المترتبة على تطبيقاتها في الميادين الاجتماعي والإنسانية، واستنباط الحلول للمشاكل المترتبة عليها أو للظواهر الناتجة عنها.

ب – ملاحظة ومتابعة النمو الاجتماعي والتطورات أو الانحرافات الطارئة عليه، وذلك لأن حياة المجتمعات قابلة للتغيير والتغير حسب المؤثر، ولهذا فالأديان السماوية تؤثر على حياة المجتمعات إيجابيا وكذلك للأفكار الوضعية أثرا على حياة الإنسان سلبيا أو إيجابيا فللبوذية أثرها، وللكنفوشية أثرها، وللماركسية أثرها، وللرأسمالية أثرها ولا ننسى ما للفلسفة من أثرٍ على الفكر الإنساني وسلوكه الثقافي والحضاري حيث بها سادة حضارات ثم بادت وحلت حضارات أخرى محلها وهكذا لن يبقى ثابتا إلا وجه ربك ذو الجلال والإكرام.

وعليه كل متغير في حياة المجتمعات والثقافات والحضارات ينبغي أن يتوجه الباحث الاجتماعيين إليه بالبحث والدراسة لمعرفة كنوزه وأخذها قبل أن تزول أو

تتدثر، ولذا فأعظم العلوم هي التي تؤخذ من تجارب الأفراد والجماعات والمجتمعات والشعوب بمختلف ثقافاته وحضاراته وأديانها وعلومها ومعارفها.

إذا على الباحث أن يراجعوا ويتفحصوا تجارب الشعوب من خلال دراسة الأفراد الذين انعكست على سلوكهم آثار متميزة سلبيا أو إيجابيا أو الاثنين معا لمعرفة عوامل أو أسباب التأثير الإيجابي والتأثير السلبي لتأكيد الموجب وإبعاد السالب عنها أو تخليصها منه.

وإن قال قائلا: أنه لمن الصعوبة أن نكون متأكدين مما يقوله الإنسان تجاه ما يعمل أو يسلك؟

نقول:

ليس كل الظواهر الإنسانية والاجتماعية مبنية على التحيز وعدم المصداقية فدراسة أثر الدين أو التعليم أو الصحة أو القانون، أو السجن، أو الديمقراطية، أو الاقتصاد على حياة الأفراد والجماعات والمجتمعات عندما تعيشها تجربة لم يكن بالضرورة متأثرا بتحايل المبحوث أو إنجازه الشخصاني، فما يود أن يعرفه الباحث بالبحث من تجربة السجين هو نظرة المبحوث إلى المؤسسة الإصلاحية لا نظرته إلى نفسه أي أن موضوع الدراسة هو أثر السجن على حياة السجين وليس على السجن.

فلو أجزنا هذه الأسئلة المتعلقة بأثر السجن على حياة السجين وفقا للآتي:

1- هل تحب السجن؟ ولماذا؟

2- هل أثّر السجن على صحتك ونفسك أم لا أثره له على ذلك؟ ولماذا؟

3- ما رأيك في نظام الرعاية داخل السجن؟

4- هل تفضّل حياة السجن على حياة الأسرة بالرغم من القيود التي تلاقيها فيه؟

5- هل تعتبر حياتك لفترة حبيسا بين أربعة جدران تجربة في حياتك العامة؟

6- من وجهة نظرك ما هي الآثار السلبية والإيجابية على حياتك في السجن؟

7- هل تعتقد أنّ السجن مؤسسة إصلاحية أم عقابية؟ ولماذا؟

8- من خلال تجربتك حياة السجن وظروفه هل تنصح بالالتزام والاحترام الذي يُبعد عن دخول السجون؟.

9- يقال أن السجن للرجال هل تصدّق ذلك القول؟ ولماذا؟

كل الإجابات على مثل هذه الأسئلة تعبر عن تجربة نتائجها لا تتأثر بخصوصية المبحوث، لأن موضوع التجربة يتعلق بالمؤسسة الإصلاحية ولا يتعلق بشخصية السجين، وعليه إن إجابات المبحوث عن المؤسسة لا تحتاج إلى تحايل من المبحوث ولا تحايل من الباحث بأساليب إسقاطية على المبحوث. إنها تجربة واضحة الأسباب وواضحة الأهداف مما يجعل البحث أو الدراسة للتجربة علمية وموضوعية.

أما إذا كانت الأسئلة منصبّة على شخصية المبحوث رغم معايشته للتجربة الإيوائية (داخل السجن)، فإن هذه الأسئلة المحددة من خلال المشاهدة أو الملاحظة أو الاستبيان أو المقابلة التي بها يستهدف الباحث جوهر المبحوث ستكون مختلفة تماما عن أسلوب الأسئلة السابقة من حيث الهدف والفلسفة.

فعلى سبيل المثال: إذا كانت التجربة هي حالة سرقة فتكون الأسئلة على النحو الآتي:

السؤال الأول:

لماذا سرقت؟

فقد تكون الإجابة:

لم أسرق وهذه الإجابة قد تكون على احتمالين:

. الصدق.

. الكذب.

فإن كانت صادقة يستوجب التسليم بها، وإن كانت كاذبة، يجب معرفة الأسباب التي دعته إلى الكذب، وهذه هي طريقة الأسئلة المباشرة.

ويمكن صياغة السؤال عن الظروف:

ما هي الظروف التي جعلتك تسرق؟

ويمكن أن تكون الإجابة على هذا السؤال، بلم اسرق. وهذه الإجابة هي الأخرى تحتاج إلى التأكد منها. وهذا النوع من الأسئلة المباشرة أيضا.

وقد يصاغ السؤال بشكل آخر:

هل من حق المواطن أن يسرق إذا لم تُشبع حاجاته؟ أو إذا لم تتوفر له فرص العمل؟

هذا السؤال لا يُعد سؤلا مباشرا وذلك لعدم توجهه لحالة المبحوث الخاصة.

فإذا كانت الإجابة بلا، ينبغي أن يلحق هذا السؤال بسؤال آخر هو: ما هو الحل من وجهة نظرك؟

السؤال الثاني: أن تكون الإجابة:

(بنعم) أو (لا) ..... نعم لا

-إن الالتزام الديني لا يشجع على السرقة. [ ] [ ]

-إن البطالة تشجع على السرقة والانحراف. [ ] [ ]

-أفضل البقاء في السجن عن الحياة خارجه إذا لم تحل المشكلة. [ ] [ ]

-أفضل الخروج من السجن عن البقاء فيه. [ ] [ ]

-الحياة الطبقية تستوجب من الفقير أن يسرق. [ ] [ ]

-القتل حق إذا تحكّم آخر في حاجاتك. [ ] [ ]

-السرقة لا تُعبر عن الاحتياج دائما. [ ] [ ]

-الاعتراف بأنني سارق يعني لا أخلاق لي. [ ] [ ]

-السرقة أقصر طريق لتوفير متطلبات الحياة. [ ] [ ]

-السارق يجب أن تقطع يده [نعم] [لا] ولماذا؟

-أنا لا أحترم السرّاق [نعم] [لا] ولماذا؟

-سرقة المواطن عيب [نعم] [لا] ولماذا؟

-سرقة الحكومة جائزة [نعم] [لا] ولماذا؟

معظم مثل هذه الأسئلة تعتبر إسقاطية ويمكن أن يتحايل فيها الباحث، ويتحايل فيها المبحوث على السواء. يتلاعب الباحث من حيث صياغة الأسئلة، ويتلاعب المبحوث من حيث إعطاء الإجابات. فتكون النتيجة كلها مبنية على التحايل، والتلاعب.

ولهذا يتضح الفرق بين أهداف التجارب في المثال السابق في كلا الحالتين لقد جرَّب الإنسان حياة السجون، إلا أنَّ الأسئلة التي وجهة (للظاهرة) فهي تُمكِّن الباحث من معرفة نتائج التجربة بموضوعية بعد معرفته للأسباب والعلل الكامنة ورائها، ويمكن إيجاد الحلول والمعالجات العلمية والعملية لها.

أما التجربة التي تستهدف جوهر الإنسان في وجود عقاب وقوانين لا تحمي المغفلين كما يقال عنها. فإن الإجابات المتحصل عليها يحفها الشك من كل جانب، فلا يستأنس لها، وعليه يتعذَّر وصف نتائج تجربتها بأنها علمية سواء اعتمدنا على مشاهداتنا أو ملاحظاتنا أو مقابلاتنا أو استبياناتنا أو أساليبنا الإسقاطية، لذا فإن مُعظم نتائجها موضوع شك، وبالتالي الإدعاء بالتصديق التجريبي فيما يقوله المبحوث أو يلاحظه الباحث مسألة لا يمكن الركون إليها ولا التسليم بها. وبما أن الجوهر لا تراه الأبصار ليكون تحت سيطرة المشاهدة، ولأن الإنسان جوهر فكيف نسلم بالشكل ولا نسلم بالجوهر؟

وعليه فإن السلوك الظاهر يمكن أن يكون مصطنعا ولا يُعبِّر عن طبيعة الموقف أو الظاهرة المنعكسة في الفرد أو الأفراد.

وإذا تساءل البعض:

هل تكون أسباب الظاهرة أو المشكلة في طبيعتها تماما كالأسباب المحققة للموقف الاصطناعي؟ وبصيغة أخرى: هل هناك فروق بين الطبيعة والاصطناع؟

فإذا كانت الإجابة بنعم.

إذاً لماذا الاحتكام إلى التجريب على مواقف لا تستوجب ذلك؟

الاحتكام إلى التجريب من اجل أن يُحكم على الظواهر الطبيعية موضوعيا بطبائعها، ولذا لا ينبغي أن يُحكم على ضمائر الناس بنوايا الباحث أو البحاث، بل الحكم عليها بها وليس بخارجها .

وإذا كانت الإجابة بلا، فإن النتيجة تكون طبيعية أو اصطناعية لا الاثنين معا، وفي هذه الحالة لا يوجد اختلاف، ويفرق الفيلسوف توماس هوبز ذلك بقوله : "إن الطبيعي هو ما نجده على ما هو عليه، أما المصطنع فهو ما يقع داخل حدود الفعل البشري"[1].

وإذا تحدثنا عن السلوك الفردي أو الثنائي أو الجماعي أو المجتمعي يكون حسب ما يتراءى لنا، وهذا ليس بطبيعي، ويكون السلوك صناعة وأحيانا افتعالا، ولهذا لا يمكن أن يكون الفعل هو المفتعل، فالطبيعي هو الموجود الحق وكما هو عليه لا كما يجب أن يكون حسب رؤية الباحث في الفعل الاجتماعي والظواهر الاجتماعية.

والفرق بين الطبيعي والاصطناعي:

إن الطبيعي يوجد أولا ويكون التفكير فيه ثانيا.

أما المصطنع فيكون التفكير فيه أولا ثم يحدث ثانيا. ولهذا فالطبيعي سواء أكان ظاهرة أم سلوكا أم موقفا فهو مثيرا. أما إذا كان مصطنعا فتكون الظاهرة أو السلوك أو أي فعل هو مثارا. أي أن الأولى مثيرة بذاتها، أما الثانية فمثارة من خارجها.

الفرق بين التجربة والتجريب

أولا: التجربة:

يقول لسان العرب المحيط "التجربة من المصادر المجموعة، ومجرب قد عرف الأمور وجربها، أو الذي قد جرب الأمور وعرف ما عنده"[2].

التجربة في العلوم الاجتماعية هي نتاج المعايشة للواقع حلوه ومره، وهي التي تمد مفرداتها بالخبرة، وقد تكون بإرادة وقد تكون عن غير إرادة، مما يجعل الحياة اليومية الاعتيادية في دائرة الممكن تجربة إرادية، ويجعل تجربة السجين في سجنه تجربة عن غير إرادة.

أمّا التجربة في العلوم الطبيعية فهي قصدية يُهيئ لها المناخ المناسب مع فائق التحكُّم في عناصرها والمتغيرات التي تُستهدف بالاختبار والقياس من قبل الباحث، وهي قابلة للتكرار دون اختلال في تتبع خطواتها.

ولذا فإن التجربة هي نتاج التجريب الذي هو مجموعة من الخطوات المتوّجة بنتائج أنتجت قوانين التي بإثباتها يصبح التجريب خطوات للتجربة يمكن تكرارها على أيدي البحاث وفرقهم المساعدة.

ونتائج التجربة يمكن أن تكون موجبه ويمكن أن تكون سالبة، وذلك حسب المستخدم لها، فاكتشاف الذرة تجربة ساهمت في التقدم التقني والعلمي للبشرية، وفي نفس الوقت تساهم في إبادتها.

والتجربة دائما ماضية والتجريب دائما حاضرا، أي أن التجربة تعبر عن ماضٍ ويمكن أن تستعمل في الحاضر والمستقبل على السواء، فلولا خطوات حدثت ما حصلت التجربة، ولولا تطبيقاتها ما نجحت أو فشلت، ولولا نجاحها أو فشلها ما كانت تجربة، وبما أنها كانت أو حتى أصبحت فهي الماضية بالنسبة لزمن اكتشافها وإتمامها وهي الحاضرة في تكرار خطواتها على أيدي البحاث كلما كرروها تجربة في المعامل والمختبرات وميادين البحث العلمي الواسعة في العلوم الطبيعية والطبية والاجتماعية والإنسانية.

إن الحياة الاجتماعية مليئة بالتجارب، الزواج، والطلاق، والترمل، والعزوبية تجارب وكل حياة اجتماعية وإنسانية مليئة بالتجارب القديمة والجديدة وتعتبر التجربة الاجتماعية أكثر شمولية من التجربة في العلوم الطبيعية، ومع ذلك فمن السهل إخضاع أحشاء الطبيعة وأديم الأرض للتجريب، ومن الصعب إخضاع الإنسان لذلك، ولذا فإن التجربة تُعد حكما لا شك في نتائجه ناتج عن التجريب الذي له مصداقية.

والتجربة الاجتماعية يمكن مراجعتها ومعرفة عللها وخطواتها ونتائجها، وهي في معظم الأحيان لا تكون مصطنعة، بل تمارس وفق معطياتها، وظروفها وتتأكد بقيمها، وتُرسَّخ بالذين آمنوا بها، فالحياة العربية بعد الإسلام وظهور متغير الدين الإسلامي ومعايشته قولا وعملا أصبح للمجتمع العربي تجربتين اجتماعيتين:

الأولى: في ماضيهم (العصر الجاهلي).

والثانية: في حاضرهم (عصر التنوير).

فكانت الحياة السابقة للرسالة تجربة للعرب تختلف عن التجربة الاجتماعية الجديدة، وذلك باختلاف معطيات كل منهما في مضمون القول وإرادة الفعل والعمل وظاهر السلوك.

وهكذا مرت جميع المجتمعات البشرية بتجارب تُظهر مفارقات في القول والعمل والسلوك، سواء أكانت من خلال الأديان السابقة للرسالة الخاتمة أم للمظاهر الفكرية والفلسفية التي جعلت للمجتمعات أكثر من تجربة، ولهذا مرت ريادات التاريخ بمتغيرات عبر العصور مما جعل لكل عصر مسمى بما امتاز به، فكان العصر الحجري والعصر البرنزي والعصر الجاهلي والعصر التنويري والعصر الصناعي والتقني، ولهذا كان للمجتمع الأثيني تجاربه الاجتماعية، وللمجتمع الروماني تجاربه الاجتماعية وللمجتمع العربي تجاربه الاجتماعية والإنسانية، وفي

العصر الحديث كان للمجتمع الماركسي تجربة بادت قبل أن تسود، وبأسباب تعدد التجارب الاجتماعية كان لكل هوية اجتماعية عنوان ومسمى.

ومع أن عقل الإنسان وأحاسيسه ومشاعره لا يمكن إخضاعها للمشاهدة التجريبية، إلا أن ما ينتجه العقل الإنساني يمكن أن يكوّن تجربة، أو أن يؤثر في تجربة.

وعليه، نقول: الحياة الاجتماعية هي التجربة الواسعة التي تفوق أي تجربة في العلوم التجريبية.

ثانيا: التجريب:

ويقصد بذلك التجريب المقصود المبني على خطة لها خطوات حدثت، وفق أسباب، وتسعى إلى أهداف يمكن الوصول إليها من خلال فروض محددة، ومع ذلك التجريب لم يكن يقيني النتيجة لأنه إذا أصبح يقينا صح عليه قول تجربة، ولذا فأنه المحاولات الجادة من خلال اعتماده مبدأ التعديل، والتغيير، والنجاح، والفشل، فإذا فشلنا كان تجريبا، وإذا نجحنا أصبح تجربة من خلال معرفتنا لقوانينها وقدرتنا على إعادتها والتحكم في عناصرها ومتغيراتها وقياس نتائجها.

ولهذا يكون التجريب في العلوم الطبيعية خاضعا لضوابط، ويقبل التضحية بالمجرَّب عليه عندما يستهدف به خير البشرية، سواء أكان المجرب عليه حيوانا أم نباتا أم طيرا أم من باطن الأرض أم من على سطحها.

أمّا التجريب على بطون البشر وأجسادهم فمحظور فأمره محظورا، وذلك لأن التجريب مبنيا على الشك الذي تتساوى فيه كفتا النجاح والفشل، وهذه عين الخطورة على حياة الإنسان الذي خلقه الله تعالى في أحسن تقويم، ولهذا يكون التجريب في العلوم الاجتماعية بالإنسان وليس عليه.

التجريب يحتوي على ديمومة واستمرارية يكون فيها الزمن الحاضر كبيرا أي أنه المتصل المستمر، فما نجح منه (التجريب) يصبح تجربة وفق اشتراطاتها، وما لم ينجح منه تتم تنقيته من الشوائب وفقا للأهداف المحددة له.

التجريب أقل شمولا من التجربة التي هي أوسع دائرة منه، ولهذا فالتجريب هو خطوات للتجربة.

إذاً التجربة تحمل التجريب مع أنها لولا التجريب ما كانت التجربة، ولولا التجربة ما تكرر التجريب، وبما أنه المتكرر إذن هو المستمر وهي التي تنتهي عند كل تجربة.

بناء على ما تقدم تتضح أهمية الطريقة التجريبية في دراسة الماضي والحاضر من خلال دراسة الظواهر الطبيعية والاجتماعية المكونة للبيئة وللبشر من أجل معرفة ما عندهم من مخزون معرفي وثقافي، وما جسدوه من حضارات وما عندهم من فضائل وقيم تصنع القول الحق والفعل الحق والعمل الحق والسلوك الحق.

الهدف من استخدامات الطريقة التجريبية في العلوم الاجتماعية:

هدف الطريقة التجريبية في العلوم الاجتماعية التعرف على الظواهر وعللها وأسبابها ومكامنها، وتأثيراتها السلبية والإيجابية، مع إيجاد مقاييس لتقنينها والتحكم في عناصرها، وهي تختلف عن التجريب في العلوم الطبيعية التي تهدف إلى الاكتشاف والاختراع الفني والتقني من أجل تسخير إمكانيات الطبيعة، والعيش من ثمارها الظاهرة والكامنة (من أحشائها أو من على ظهرها).

والغاية من التجريب في العلوم الاجتماعية لأن يواكب الإنسان ونظمه حركة الاكتشاف العلمي ولا يفرط في القيم الحميدة التي صنعها الماضون وهي لا تتعارض مع المكتشف الجديد. وأن يستفيد من الاختراعات والابتكارات التي تمده بها العلوم الطبيعية، وأن يوجه عنايته واهتمامه للطبيعة مصدر رزقه، وميدان تدريبه وتجربته من أجل تقدمه ليصل إلى الفضيلة وينتظم في مجتمع فاضل حسب انتمائه الاجتماعي بود ومحبة وتعاون مع الآخرين الذين تربطه علاقات بهم والذين من أجلهم يحافظ على البيئة.

ومن أهداف الطريقة التجريبية التعرف بالعقل على الخارج عنه والخارج منه، بعد إخضاعه للقياس الكيفي والكمي وتعرضه للنقد الداخلي والخارجي. ولهذا فلطبيعة الفضل على العقل لأنها الميدان الواسع للتجريب بها وعيها فلولا الطبيعة ما بحثنا ولولا البحث ما اكتشفنا، ولولا الاكتشاف ما تقدّمنا.

إذا لم يكن الهدف هو اكتشاف الطبيعة، فالطبيعة ماثلة أمام الناظرين وهم على ظهرها محمولين، وبما أنها كذلك، إذاً فما هو دور الإنسان حيالها؟

دوره التعرف على ما فيها من كنوز واستثمارها لغاية مستقبل أفضل، والتعرف على الأسس المنتظمة عليها لاستنباط أهمية النظم في العلاقات الاجتماعية والإنسانية.

ولهذا هناك غاية من وراء الهدف من استخدام الطريق التجريبية في العلوم الاجتماعية وهي الانطلاق منه والوصول إليه، أي الانطلاق من الهدف عندما يكون محمولاً في الفرضيات أو التساؤلات، والوصول إليه عندما يكون ظاهرا في النتائج والمعالجات.

وعليه: نتساءل:

بما أننا سنجرب، فلماذا إذن ننطلق من فرضيات؟ ولماذا نحدد أهدافا؟

فتكون الإجابة محمولة في مضمون سؤالا آخر هو:

من أجل ماذا سأجرب؟

كل ذلك من أجل أن أتعرف أو أكتشف، وإذا عرفت أو اكتشفت فماذا فعل؟

. أوصي.

. أقترح.

. أعالج.

. أخطط.

. أصوغ استراتيجيات المستقبل وكيفية صناعته.

إذاً من المستهدف من كل ذلك؟

المستهدف بذلك المجتمع، وذلك لأن تقدم أو تغير فرد منه أو اثنين أو عينة لا يعني تقدم المجتمع وتطوره، ولهذا يكون المستهدف بفلسفة المنهج التجريبي هو المجتمع، وبما أنه المجتمع، هل يمكن إخضاعه المجتمع جملة للتجربة المختبرية؟ إنه من الصعب.

وبما أنه من الصعب، فهل يمكن أن يكون للمجتمع تجربة؟

نعم.

وهل يمكن أن تكون له طريقة ومنهجا؟

نعم.

كيف؟

أولا – تجربة المجتمع:

تجربة المجتمع هي التي يخوضها بكامله وفق قدراته واستعداداته، وحسب المتغيرات المستقلة والتابعة والمتداخلة والدخيلة إن وجدت، هذا وقد تشترك أجيالا متلاحقة في تجربة المجتمع، وفي هذه الحالة لا معنى للمجموعة التجريبية والضابطة التي تُستخدم لتنوب عن تجربة المجتمع؛ فالمجتمع هو الضابط وهو المجربُ والمتجرِّب، ولذلك فتجربته تفوق كل التجارب في العلوم الطبيعية والسلوكية، لأنها أوسع مجالا وأكثر أهمية.

وعليه فإن قرأنا التاريخ نلاحظ أن هناك حضارات سادت ثم بادت، ولسيادتها أسباب ولإبادتها أسباب، وإذا تأملنا حياة أممها وشعوبها نجد أنها عاشت ومارست تجارب كبيرة جدا إذا ما قورنت بتجربة جربت على فأر، أو قطعة قماش، أو رأس بصل، أو شريحة ثوم، وغيرها كثير جدا، ولذا فبدون تحيز فإن تجربة يقوم بها مجتمع بكاملة أهم وأعظم من تجربة على شجر، أو حيوان أو طائر أو سمكة أو نبتة.

إذا التجربة التي يقوم بها المجتمع بأسره لا يمكن أن يلتصق بها تحيزا أو تعمدا، لأنها تجربة علمية وبدون باحث الذي قد يكون من قبله يحدث التحيز والتعمد القصدي في غير محله.

ومن خلال مراجعتنا لحياة الأمم والشعوب نجد أنها عاشت تجارب اجتماعية وإنسانية جعلت بعضها في صدارة التقدم، فللمجتمع اليوناني تجربة لا يمكن إغفالها أو التغافل عنها، وللمجتمع الروماني تجربة اجتماعية وسياسية واقتصادية والدينية التي جعلت له نمطا خاصا وحياة اجتماعية وإنسانية متميزة ومتغيرة من فترة لأخرى حسب العوامل والمتغيرات التي نبعت منه أو أدخلت عليه، فللمجتمع العربي قبل الرسالة تجارب وبعدها كانت له تجربة أكبر باعتبار الدين كمتغير تصحيحي للقيم الاجتماعية وذلك بإثبات الخيِّر منها وإبعاد السيئ عنها وفق منظور المتغير الجديد (الدين).

ولا ننسى التجربة الحديثة التي أجراها المجتمع الماركسي على ما سمي بالاتحاد السوفييتي وأوروبا الشرقية. وفي كل التجارب يمكن ملاحظة النجاح والفشل في فيها، فقد نجحت التجربة العربية الإسلامية داخل محيطها الاجتماعي والمكاني والزماني كما نجحت خارجه لما لها من معطيات ومسلمات، وحُجج وبراهين وأدلة منطقية وموضوعية غايتها الإنسان قيمه ثابتة في الوجود، وفي مقابل ذلك فشلت التجربة الماركسية لأنها لم تقم على اختيارات ورغبات بل تأسست على إجبار وإكراه فلم يتحقق لها الرضي الذي يؤدي إلى النجاح بالضرورة.

ولأن التجربة الاجتماعية تختلف عن تجارب العينات، والمجموعات، والمختبرات التي تخضع لاشتراطات، وتحكم الباحث في عناصرها وظروفها، لذا فإن المناداة التي تبناه البعض من أساتذة علم الاجتماع، والمتتلمذين عليهم بأنه لا يمكن دراسة المجتمع بأسره أصبحت باطلة لأن المجتمع يمكن له أن يعيش ويمارس تجربة من

خلال تفاعله، واستجاباته وقبوله ورفضه، وتقبله للمتغيرات، كل حسب تأثيرها والأسلوب المتبع من قبل المتأثرين بها.

ولذلك نقول:

إن حياة المجتمعات تحت وطأة الاستعمار تعتبر تجربة مريرة تستوجب البحث والغوص في أغوارها لمعرفة ما جرى وما ترتب على هذه التجربة المريرة من متغيرات في حياتهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية والنفسية.

ثانيا: منهج المجتمع:

المنهج هو الذي به يتم تنظيم العلاقات بين أفراد المجتمع وجماعاته وهو المؤسس على مجموعة من القواعد الفكرية والدينية والعرفية والقيمية التي تهذب الأخلاق وتقوي وحدة المجتمع وتحافظ على هويته التي تُميزه عن هويات الآخرين.

ولذا فمنهج المجتمع هو الذي يرسم سبيله بإرادة حرة من المبادئ إلى الأهداف والغايات التي من ورائها.

ولهذا لا منهج إلا وموضوع، مما يجعل الباحث يستمدون مناهجهم من مواضيع بحوثهم. أي لا يمكن أن يُبحث في أي إشكالية أو ظاهرة كمواضيع للبحث إلا بمناهج تُستمد من صلبها، وإلا سيكون المنهج أجنبيا عليها، وفي هذه الحالة لا يُمكِّن الباحث من تقصي الحقائق بموضوعية.

وعودٍ على بدء، أتساءل:

هل هناك مجتمع بدون موضوع (بدون رسالة أو مهمة)؟

بالتأكيد لا.

وذلك إن لكل مجتمع أو أمة رسالة أو مهام تؤديها (موضوعا) وبما أن للأمة موضوع، إذن لا بد أن يكون لها منهاجا، مصداقا لقوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ

شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ}[3]. أي لكل أمة موضوع ومسلك، تحتكم بالأول وتنتهج الثاني.

لقد تميَّز كل مجتمع من المجتمعات البشرية بما امتاز به عن غيره، ولهذا كان لكل شِرعة ومنهاجا، فقد تميَّز المجتمع الهندي مثلا بالموضوع عن غيره من الشعوب والأمم فكان له منهج يميزه عن غيره، وحسب الموضوع الذي تميز به، وهكذا المجتمع اليوناني والروسي، والروماني، والعربي، ولا يمكن أن تحقق وحدة المجتمع إلا بوحدة الموضوع، والمنهج.

أمَّا إذا كان المنهج لا علاقة له بالموضوع فتكون الطريق المؤدية للأهداف مليئة بالكثبان وسماؤها عواصف ويكون الباحث كالأعمى لا يمكنه أن يقود السيارة بأمان وسلامة. وإذا فرض على المجتمع منهجا لا علاقة له بالموضوع فتكون النتيجة الآية متطابقة مع قوله تعالى: {تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ}[4]. إذن وحدة الموضوع والمنهج تؤدي إلى وحدة المجتمع.

وعليه، يكون البحث الناجح هو البحث الذي يتوحَّد منهجه مع موضوعه، أما إذا لم يستنبط المنهج من الموضوع، فتكون النتيجة الاختلاف وعدم الموضوعية.

إذاً الاتفاق يكون مع استخراج المنهج من الموضوع والاختلاف يكون بترويم منهج جاهز في كتب البحث وهو لا يمت بصلة إلى الموضوع المستهدف بالبحث أو الدراسة.

الجماعات التجريبية:

لقد ظهرت محاولات لتطبيق الطريقة التجريبية بين أساتذة علماء الاجتماع وعلم النفس، وظهر قبل ذلك نظريات خاصة بكل مجال وبدأ بعضهم كمن يُعلِّم الطفل المشي باعتمادهم على المحاولة والخطأ، وتحققت نجاحات تدريبية في هذا الميدان

العلمي من خلال إخضاع بعض الحيوانات للتجريب والتدريب، ثم وصلت إلى التجريب على الإنسان من خلال المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة، ويمكن الإشارة لكل منها وفق الآتي:

1-الجماعة الواحدة: قد يختار الباحث جماعة واحدة للتجريب وذلك بإدخال متغيرات يراعي فيها الظرف الزماني والمكاني لمعرفة أثر المتغير على الجماعة مع مراعاته للآتي:

أ – تحديد حجم الجماعة المستهدفة بالبحث .

ب – تحديد المكان المناسب للتجربة .

ت – تحديد الزمان المناسب للتجربة .

ث – تحديد المتغير أو المتغيرات المستهدف قياس آثارها .

ج – قياس الجماعة قبل إدخال أي متغير عليها.

ح – توحيد صفات وظروف المجرب عليهم .

خ – قياس الجماعة بعد إدخال كل متغير .

د – مقارنة أثر المتغير على الجماعة القبلية والبعدية .

ذ – اختبار الفروض.

ر – تحديد النتائج .

وتكون الجماعة تجريبية وضابطة في وقت واحد، ضابطة بقياسها قبل إدخال المتغيرات عليها، وتجريبية بعد إدخالها، فإذا أردنا معرفه أثر ممارسة الرياضية على جسم الإنسان وعقله لا داعي هنا لاشتراط مجموعتين بحيث تكون احد المجموعتين ضابطة والأخرى تجريبية، بل يمكن معرفة أثر المتغير المستقل وهو ممارسة الرياضة على مجموعة واحدة، وذلك بقياس مستوى جميع أفراد الجماعة قبل ممارسة الرياضة، ثم قياسه بعد ممارستها، وذلك لتسجيل الفارق ومعرفة درجة الاستجابة والتغير الذي حدث أو طرأ على جسم الإنسان وعقله.

ومع ذلك نتساءل:

. هل السلوك الحاصل من التجريبية سلوكا طبيعيا؟

. وهل السلوك الطبيعي يساوي السلوك المصطنع؟

. وهل هما ينطبقان بالتمام؟

كل هذه الأسئلة تحمل إجاباتها واضحة فيها لأنه لا يمكن أن يكون السلوك الطبيعي هو السلوك المصطنع، ولا حياة التجربة تكون هي مطابقة للحياة الطبيعية. ويؤكد هذا القول، ما قاله أستاذ علم النفس (بجامعة شيكاغو، ت. ج. أندروز) "نوع السلوك اليومي الذي نبغي فهمه يقع خارج المعامل، وأنه حين يكون موضوع الدراسة في المعمل يصبح خاضعا للشروط المألوفة للضبط الصارم والقياس الدقيق، ولا يكون نفس السلوك"[5].

ومع أن دراسة الجماعات تحت كل هذه الظروف تعطينا مؤشرات ونتائج محددة وفق اشتراطات التجربة، إلا أنها غير مضمونة الأثر والفائدة الدائمة.

2 – المجموعتان: كما سبق وأن حددنا شروطا للمجموعة الواحدة فإننا نحدد هنا شروطا للمجموعتين، وهي الشروط السابقة مع التأكيد على توفر شروط التشابه في الصفات بين أفراد المجموعتين، وذلك من حيث الأعمار والمستوى التعليمي، والقدرات، والاستعدادات قبل إدخال أي متغير على المجموعة التجريبية.

وتنقسم المجموعتان إلى الآتي:

أ – المجموعة الضابطة:

وهي المجموعة التي تتوفر فيها نفس شروط المجموعة التجريبية قبل إدخال أي متغير عليها، والمجموعة الضابطة هي التي يتم بها قياس أثر المتغيرات على المجموعة التجريبية، أي أنها المجوعة التي لم يدخل عليها متغير تجريبي وذلك

لضبط قياسات المجموعة التجريبية ولا يتضح أثر العامل التجريبي إلا بعد دراسة الجماعتين قبل إدخاله كمتغير وبعد إدخاله كمتغير تجريبي.

ب – المجموعة التجريبية:

هي الجماعة المحددة للتجريب وهي التي يتم إدخال متغير عليها ولا يعرف أثره إلا بمقارنتها مع الجماعة الضابطة، ولا يتضح أثر العامل التجريبي إلا بعد دراسة الجماعتين قبل إدخال العامل التجريبي على الجماعة التجريبية أي بعد تحديد معرفة المستوى الذي عليه الجماعتان قبل تنفيذ التجربة، ثم بعد إدخال المتغير التجريبي يُسجل الباحث كل الملاحظات الجديدة التي شاهدها أو لاحظها.

وإذا تساءل البعض عن الفارق بين المجموعتين: ما هو؟

فإن الإجابة تكون هو العامل التجريبي أو المتغير الذي أدخل على الجماعة التجريبية.

وإذا تساءل البعض أيضا:

هل يمكن إيجاد جماعتين بشريتين متساويتين في الصفات والظروف؟

نقول:

إنه الأمر الأصعب من أي أمر.

وعليه: نستنتج من ذلك أهمية الجماعة أو المجموعة في دراسة أثر العوامل التجريبية ونستنتج في الوقت ذاته صعوبة عدم موضوعية دراسة الجماعة أو المجموعتين بالعوامل التجريبية.

3 . الجماعة المناوبة: وهي الجماعة المشتركة في التجربة ويتم إدخال متغير أو متغيرات عليها فتكون ضابطة لبعضها وتجريبية في وقت واحد مع اختلاف زمن إدخال المتغيرات. ولإجراء تجربة المناوبة يمكن إدخال جماعتين أو أكثر في التجربة وذلك بعد توفير شروط إجراء التجربة من حيث المعطيات والصفات الأساسية للجماعات المستهدفة بالتجريب.

ثم يبدأ البحث التجريبي بالتوالي على الجماعات التي تم اختيارها للتجريب من قبل الباحث وذلك بإدخال العامل التجريبي على كل جماعة بعد الأخرى، وتكون كل جماعة تجريبية حين إدخال العامل التجريبي عليها ضابطة لغيرها من المجموعات الأخرى بعد انتهاء زمن التجريب وتسجيل أثر المتغير أولا بأول، فإذا كانت الجماعات التجريبية مكونة من ثلاثة مجموعات (أ ، ب ، ج) تكون المجموعة (أ) تجريبية عند إدخال المتغير التجريبي عليها وبعد إدخال المتغير التجريبي على المجموعة (ب) تكون المجموعة (أ) ضابطة للمجموعة (ب)، وعند إدخال العامل التجريبي على المجموعة (ج) تكون المجموعتان (أ ، ب) ضابطتين للمجموعة (ج) التي لا زالت تحت أثر العامل التجريبي، وهكذا تتم التجربة بالتناوب على كل المجموعات المستهدفة بالبحث وليس في وقت واحد. وهكذا يتحدد نوع الجماعة بأنها ضابطة أو تجريبية حسب إدخال العامل التجريبي وحسب مراحل البحث وفترة المناوبة على كل متغير.

وهذه الجماعات المناوبة يمكن أن تستهدف في بحث أثر أكثر من متغير مع مراعاة زمن إدخال كل متغير وقياس أثر المتغير السابق والمتغير اللاحق على كل جماعة.

ولكن عندما تكون الجماعات المدروسة أكثر من جماعتين فإن قياس أثر المتغيرات قد يؤثر ويختلف من جماعة لأخرى من الجماعات المستهدفة بالتجريب خاصة إذا كررنا العامل التجريبي بفارق زمني يكون له حسابه بين أول جماعة تجريبية وآخر جماعة تجريبية لأن لكل متغير أثر مباشر وغير مباشر حسب الفروق الفردية التي لا يمكن أن يتساوى فيها الأفراد والجماعات مهما عملنا من حيطة وحذر.

إن البحوث التجريبية في الزمن الحاضر، لم تكن ناتجة عن فراغ فكري لحظة أو زمن ظهورها، أو أنها ناتجة عن المادة المتكونة من الهيولي والصورة، بل إن زمن المشاهدة والملاحظة والإطلاع على المكتوب أو الموثّق هو نقطة الانطلاق في

الزمنين (الماضي، والمستقبل) لاستكمال المعلومات وإثراء الأفكار مما يجعلنا نقول أن التجريب لم يكن منطلقا من فراغ لا مصدر له، أو أنه لم يستند على معطيات؛ ونتيجة لوحدة الزمن فإنه كفيل بإثبات أو بطلان صحة ما يطلع عليه، فباستخدام الحواس في الزمن المضارع تتم رؤية الماضي، والمستقبل، وتتكرر الصور أو يكتشف الجديد، مع أنه كامن في معطيات سابقة.

فإذا نظرنا إلى شجرة التفاح الصغيرة نرى في الزمن الحاضر (زمن المشاهدة) ثمارها حتى وإن لم تكن في ذلك الوقت مثمرة، وهذا هو مستقبل الشجرة في الذهن العاقل الذي يستقراء ويستنبط ويُدرك. ونرى في نفس الوقت أنها كانت برعما أو بذرة وهذا هو ماضيها.

ولهذا نقول:

إن الاعتماد على الحاضر المشاهد في الزمن المضارع بمنعزل عن الزمنين الهامين (الماضي، والمستقبل) لا يؤدي إلى التعمير، والإنتاج، والتواصل، والتجديد، والتطور وصناعة المستقبل، فالبشر لو لم يتذوقوا طعم التفاح وفوائده ما دعتهم أفكارهم إلى ضرورة الاستمرار في غرسه في الزمن الحاضر ليؤكل منه في الزمن المتوقع (المستقبل).

عيوب التجريب في العلوم الاجتماعية :

1- إن النتائج المتوصل إليها من خلال الجماعات التجريبية والضابطة يصعب تكرارها بنفس الدرجة والدقة مثلما يحدث في العلوم الطبيعية .

2- إنه من الصعب إخضاع الإنسان إلى التجريب المعملي أو ألمختبري نظرا لأهميته.

3- عدم توفير الأجهزة والأدوات الدقيقة التي تمكننا من قياس أثر المتغير التجريبي بين الجماعات التجريبية والضابطة. وما هو مستعمل الآن في قياسات العلوم

الاجتماعية والإنسانية يتأثر سلبا وإيجابا باستجابات المبحوث التي تتغير من وقت إلى أخر في حالة تكرار التجريب.

4- إن الاعتماد على المشاهدة والملاحظة في العلوم الاجتماعية لم يكن ناجحا دائما لأن المشاعر، والعواطف، والحب، والكراهية، والحنان، والتناغم الوجداني من الصعب أن تتم رؤيته أو إخضاعه للمشاهدة، وبما أن الإنسان متكون من كل وهذا وأكثر ، وبما أن كل هذا لا يمكن مشاهدته وملاحظته إذاً لا يمكن الاعتماد على وسيلة المشاهدة وأحكامها في دراسة الإنسان كجوهر (على محتوى أو مضمون داخلي).

5- من الصعب التحكم في أثر المتغير بنفس الدرجة على الأفراد أو المجموعات التجريبية، لأن تفاعل الأفراد أو استجاباتهم مع أي عامل تجريبي قد تتأثر بالفروق الفردية، وبالخلفية الثقافية أو الاجتماعية، أو العاطفية للفرد والجماعة والمجتمع.

6- أخطاء التحيز: والذي يحدث نتيجة الشخصانية (الأنانية) التي يتأثر بها الباحث تجاه الموضوع أو تجاه الأفراد أو الجماعة المبحوثة، وكذلك أخطاء تحيز المبحوثين إذا عرفوا بأن هناك عائدا نافعا عليهم إذا نجحت التجربة مما يجعل الجماعة التي تحت التجربة متصنّعة السلوك، وفي هذه الحالة يكون السلوك غير طبيعي ، وتجربة غير طبيعية مع إنسان طبيعي.

7- إذا تعمّد الباحث تفسير المعلومات سيجد بحثه خاليا من الحقائق وذلك لأن الحقائق لا يتم التوصل إليها بتحليل المعلومات بل يتم التوصل إليها بتحليل النتائج.

8- إذا فطن المبحوث بأنه مشاهد أو ملاحظ أو أنه تحت الدراسة فقد يتصنّع سلوكا ليس بالطبيعي كما لو لم يفطن تجاه ذلك.